# شرح صحيح البخاري

فضيلة الشيخ
عيسى بن عبد الله الحاجري
المدرس بالجامعة الإسلامية سابقًا

قام بها
فريق التفريغات بموقع ميراث الأنبياء

miraath.net

يَسرُّ مَوْقِعَ مِيرَاثِ الأَنبِيَاءِ أَن يُقَدِّمَ لَكُم تَسْجِيلاً لِشَرْحِ:

# صحيح البخاري

لفضيلة الشيخ العلامة

## عُبَيد بن عَبد الله بن سُليمان الجَابري

- حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

نَسأَلُ اللهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَنْفَعَ بِهَا الجَمِيع .

# الدرس الأول

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، اللهم صلِّ وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

## المتن:

**قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْجُعْفِيُّ مَوْلَاهُمْ الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في صحيحه :**

**بَابٌ: كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟**

**وَقَوْلُ اللَّهِ -جَلَّ ذِكْرُهُ-:** ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ النساء: ١٦٣.

**١ - حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الأَنْصَارِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَلَى المِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».**

## الشرح:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلى اللهُ وسلمَ على نبينا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين، أمَّا بعدُ:

فإن هذا الكتاب؛ وهو صحيح البخاري: هو أصح كتاب بعد كتاب الله؛ كما قررهُ علماء مُحققون من أهل السنة، واسمهُ: الجَامِعُ الصَّحِيحُ الْـمُسْنَدُ، وهذا الكتاب باستقرائِه ظهر أن البخاري -رحمه الله- له في جميع كتبه وأبوابه مغزى ومقصد، يُدركُه الحُذَّاق من أهل العلم، كما أن لكل تَرجمة من تراجمه الفِقه العظيم؛ ولهذا فإن أهل العلم يستنبطون الفِقه من تراجم البُخاري، وإن كانت بعض تراجمه يَحَارُ فيها بعض أهل العلم، لكن عند التأمل يظهر مُراد أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري -رحمه الله- من الحديث الذي ساقه في الترجمة، وإن لم يكن صريحًا فإنه بالإشارة، وقد تكون الإشارة ذات مغزى بعيد، وهذا كما سنُبيِّنهُ لكم -إن شاء الله تعالى- من خلال دروسنا المُتابعة في هذا الكتاب العظيم النَّفيس الماتِع المبارك.

بدأ الشيخ -رحمه الله- هذا الجَامِعُ الصَّحِيحُ بكتاب الوحي، لكنه لم يقُل: كتاب الوحي بل، قال: "بَابٌ: كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ" ولعله استغنى بهذه الترجمة عن ذكر الكتاب؛ لأنه عند التأمل يظهر أن كل حديث ذو ترجمة مُعينة مقصودة عند الإمام البخاري -رحمه الله-، وها هنا أمران أو ثلاثة:

- **الأمر الأول:**

السر في بدء هذا الكتاب: الجَامِعُ الصَّحِيحُ بهذه الترجمة: "الوَحْيِ"، والذي يظهر أن البخاري -رحمه الله- قصد بها: التنبيه إلى أنه لا مُعَوَّل ولا مُعْتَمد في تقرير القُرُبات وأَمرِ الناس بها إلا بالوحي، وهذا الوحي الذي أوحاهُ الله -سبحانه وتعالى- إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- هو القرآن والسنة؛ كما صحَّ عنه -صلى الله عليه وسلم- من غير وجه: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ

مَعَهُ»، وفي التنزيل الكريم: ﴿فِي ٱلتَّاسِعَةِ عَشَرَ يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ النجم: ٣ - ٤، وفيه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ الحشر: ٧،

والمُوحى إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والذي أخبر الله عن نبيه -صلى الله عليه وسلم- أنه لا ينطق إلا به؛ يعنى: لا يأمُر ولا يَنهى إلا به، ولا يُخبر عن الله إلا به هو: قرآنٌ يُتلى، أو سُنة صحيحة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكذلك الشأن في قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ فإن الذي يأتي به؛ ويتضمن أمر الله ونهيهُ أو خَبَره هو لا يخرج عن هذين.

- **الأمر الثاني:**

في بِدء المصنف -رحمه الله- كتابه عامة، وهذا الباب خاصة بحديث عمر -رضي الله عنه-، فإن البَدء بهذا الحديث يتضمن عدة أمور:

- **الأمر الأول:**

التنبيه إلى الإخلاص في جميع ما يَتقرب به العبد إلى ربه -جل وعلا-، فكما أنه نبَّه تنبيهًا عامًا إلى وجوب امتثال القرآن والسنة؛ وأنهما طريق الأمر والنهي عن الله -عز وجل-، نبَّه تنبيهًا خاصًا إلى شرطًا آخر من شرطَيْ العمل التعبُّدِي وهو: الإخلاص «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» والأعمال جمع عمل؛ وهو يشملُ الأقوال والأعمال التي يَتقرب بها العباد إلى الله -سبحانه وتعالى-، فيتحصَّل من البَدأَيْن: أن العمل الصالح له شرطان؛ وهما:

- **تجريد الإخلاص لله وحده.**
- **وتجريد المُتابعة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-.**

فإن أي عمل لا يجمع هذين الأمرين فإنه مَردود؛ لا يَنال عند الله -عز وجل- القَبول، ومن هنا قال أهل العلم: إن الأعمال من حيث اجتماع هذين الشرطين وعدم ذلك أقسامٌ أربعة:

- **أحدها: ما جَمَع الإخلاص لله، والمُوافقة للسنة.**
- **وثانيها: ما كان خالصًا، غير مُوافق للسنة.**
- **وثالثها: ما كان مُوافقًا للسنة، غير خالص لله.**
- **ورابعها: وأظنكم أدركتموه، بالاستقراء؛ بالاستنباط، ما هو؟ ما خلا منهما.**

وأدركتم أن الذي يَنالُ عند الله -عز وجل- القَبول أحد هذه الثلاثة الباقية، فما هو؟

**الأول: وهو ما كان خالصًا لله مُوافقًا للسنة.**

وعلى هذا اجتمعت كلمة الأئمة بَدءًا من الصحابة -رضي الله عنهم- إلى اليوم، ومن ذلكم أن الفُضيل بن عِياض -رحمه الله- سُئل عن قوله -تعالى-: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الملك: ٢، قال: "أَخْلَصُهُ وأَصْوَبَهُ"، قالوا: "يا أبا علي ما أَخْلَصَهُ وما أَصْوَبُهُ؟"، قال: "أن يكون خالصًا لله، صوابًا على سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-".

**وها هنا سؤال: ما الفرق بين النية والإخلاص؟**

أقول: هذا يتضح من المعنى الشرعي، لكن قبله نذكر المعنى اللُّغوي:

⌘ فالنِّية في اللُّغة: الْقَصْدُ، يُقال: نَوى الشَّيءَ؛ يَنويهِ إذا قَصَدَهُ.

⌘ وشرعًا: عَزمُ القَلبِ عَلى فِعلِ الشَّيءِ أو تَركِهِ تَقَرُّبًا إلى الله.

فالشطر الأول: "فِعلِ الشيء" هذا في الأوامر، والشطر الثاني: "تَركُهُ" هذا في النواهي، وهذا المعنى هو الفُرقان بين المؤمن والمُنافق، فالمؤمن هو الذي يتحصَّلُ عنده هذا المعنى الشرعي؛ لأنه لا يفعلُ ولا يدعُ إلا تقرُبًا إلى الله -سبحانه وتعالى-، بخلاف المُنافق فإنه ينوي كما تنوي أنت أيُّها المؤمن، لكنه خالٍ من التقرب إلى الله لأنه لا يَعتقِدها. ولهذا أزيد إيضاحًا فأقول:

**المُنافق ينوي الصلاة والمؤمن ينويها، فما الفرق بينهما؟**

المنافق ليس عندهُ إلا الأمر الظَّاهر فقط؛ يعنى: يُصلى رياءً؛ وخوفًا على سُمعته، شُهرة، أما المؤمن فإنه يُصلى تقرُبًا إلى الله -عز وجل-، يحتسبُ هذه الصلاة عند الله -سبحانه وتعالى-، وهكذا في جميع القُرَب.

**هنا أمر آخر؛ وهو: إذن ما الذي عند المُنافق من النِّية؟**

هو المعنى العُرفي وهو: العَزمُ على فِعل الشيء، يعزم على فعل الشيء، لكن ليس عنده التَقرُّب، وبهذا يتحصل عندنا: أن النية لها مَعنَيان، أو لها ثلاث مَعانٍ: لُغَوي، وشرعي وعُرفي، فالعُرفي ما هو؟ العزم على فعل الشيء فقط؛ وهذا قدرٌ مشترك بين المؤمن والمُنافق.

- **الأمر الثالث:**

في بَدء المُصنف -رحمه الله تعالى- كتابه الصحيح عامة، والوحي خاصة هو:

التنبيه إلى قَبول خبر الواحد، وبَسط هذه المسألة في علم المصطلح؛ ولهذا كان أهل العلم من المُحققين؛ من أهل السنة وغيرهم يردون على أبي علي الجُبَّائي الذي زعم: أن البخاري شَرَطَ في صحيحه أن يكون الحديث عزيزا، فاستدلوا بالرد عليه بهذا الحديث، وبحديث أبي هريرة في خاتمة الصحيح: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ» الحديث، وقد جرت عادة المُصنفين من أئمة الحديث أن يُصدِّروا كُتبهم بهذا الحديث للتَّبرك به من ناحية، وللحضِّ فيه على الإخلاص من ناحية أخرى، وقلت: "المصنفين" هذا يعنى: التعميم نِسبي، وليس حقيقي، لأن كثير من المُصنفين لم يبدأوا كتبهم بهذا الحديث، لكن الكثير منهم بدأوا مصنفاتهم بهذا الحديث.

هذه الرواية رواية شيخ البخاري الحُميدي قاصرة في التفصيل، وأوضحُ منها رواية شيخه عبد الله بن مَسْلَمَة في "كتاب الإيمان" كما سيأتي إن شاء الله -تعالى- فيها: «وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، ومَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

فقوله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» أو هذه الرواية التي عندنا إلى آخر الحديث؛ هذا تفصيلٌ بعد إجمال، والتفصيل بعد الإجمال من طُرق التشويق التي تُهيِّئُ السمع والنفس إلى ما يُلقى، وهذا أمر تعودناه في كتاب ربنا، كما تعودناه بسنة نبينا -صلى الله عليه وسلم-.

فمن القرآن الكريم؛ قوله -تعالى-: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ القارعة: ١ - ٣، فإلى هنا إجمال، فما بعد ذلك من تفصيل؟ ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤﴾ القارعة: ٤، إلى آخر السورة.

وفي السنة المُستفيضة؛ منها قولهُ -صلى الله عليه وسلم- في حديث زيد بن خالد الجُهَني -رضي الله عنه- وهو حديثٌ الصحيح، قَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: قَالَ اللهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وكَافِرٌ بِي» الحديث، والحديث فيه عدة فوائد:

- إحداها: وُجوب قَبول خَبَرِ الواحد في أحكام الله -سبحانه وتعالى-، كما تقدم.
- الثاني: أن النية شرطٌ في العمل فلا يَصح العمل إلا بنية.

**سؤال: أحسن الله إليك، تعريف الإخلاص؟**

الإخلاص: هو النية الصادقة، هذا معناه المُختصر: النية الصادقة؛ لأن هي الإخلاص، بارك الله فيكم.

# المتن:

**قال -رحمه الله تعالى-:**

**بابٌ:**

**٢- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ؛ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ»، قَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا.**

# الشرح:

هذا هو الحديث الثاني في الكتاب، وقد ترجم عليه البخاري ترجمة مُطلقة؛ ليست مُضافة: "بَابٌ"، والظاهر أنه يُشير إلى شيء وهو: السؤال عما يُشكِل، وهذا يُنبِّه إليه سِياق الحديث، فإن الحارث بن هشام -رضي الله عنه-: سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن أمرٍ لم يعرفهُ، فهو يعلم أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يُوحى إليه، وأنه لا يأتي من عند الله إلا بالوحي، فسأل عن كيفية ذلك؛ وهذه مشكلة، أو غير مَعلومة عندهُ، فأخبره النبي -صلى الله عليه وسلم- عن كيفيتين من كيفيات الوحي:

## الكيفية الأولى:

صوت يُشبه صلصلة الجرس، والجرس معروف: حديدة لها صوت مُطرب تُعلَّق على الدَّواب، وهذا هو الأشد؛ كما صرح هنا في الحديث، هو أشد الكيفيات، ولعل الله -عز وجل- أشار إلى ذلك بقوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ المزمل: ٥، وهذا يدلُ له قول عائشة -رضي الله عنها-: «وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا»، وقوله: «وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ» كذلك.

### وهنا سؤال: كيف يُشَبَّهُ المحمود بالمذموم؟

فالمحمود: صوت الوحي الذي يَسمعهُ النبي -صلى الله عليه وسلم- من المَلَك -صلى الله عليه وسلم-، هذا محمود بلا نِزاع،

والمذموم: صوت الجرس، فكيف يُشَبَّهُ هذا بهذا، فهو تشبيه الكامل بالناقص؟

والجواب: أن التشبيه لا يَلزَم منه المُشابهة من كل وجه، فإذن على هذا أراد -صلى الله عليه وسلم- أن يُقرِّب للفهم؛ هكذا قال بعضهم، فصوت الجرس مذموم لأنه طرب، والجرس منهيٌ عنه.

## ⌘ الكيفية الثانية:

أن الملك يُكلِّم النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد أن يتمثل له رجلا فيعي عنه، والمقصود أن النبي -صلى الله عليه وسلم- بيَّن كيفيات إيحاء الملك إليه -صلى الله عليه وسلم-.

⌘ **هناك كيفية ثالثة:**

1. وهي النفث في الرَّوع؛ وهذه قد جاءت في أحاديث.

فتُصبح الكيفيات التي يُوحى بها إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثلاث، بقيت كيفيتان من الوحي الشرعي:

⌘ **إحداهما: الإلهام:**

وهذا فُسِّر به قوله -تعالى-: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي﴾ النحل: ٦٨، الآية، قالوا: هذا إلهام، وألحقوا به قوله -تعالى-: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ﴾ القصص: ٧، وهذا عندي فيه نظر، لا يمنع أن يكون أوحى الله إليها عن طريق نبي من أنبياء بني إسرائيل في ذلك الوقت، أو أن الله -سبحانه وتعالى- بعث إليها الملك فكلمها وهي لا تراه ولكن ثبتها الله، كما كلَّم الملك -صلى الله عليه وسلم- مريم أم عيسى -عليهما الصلاة والسلام-، وهذا شرعي.

⌘ **الثاني: وحيُ اللهِ إلى الملائكة:**

وهذا جاء في غير ما آية من كتاب الله، منها: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الأنفال: ١٢، فهو يُكلم الملائكة -عليهم الصلاة والسلام-، والكيفية غائبة عنا، هل يُكلمهم بواسطة جبريل لأنه أفضلهم ورئيسهم كما يَظهر لنا من آي التنزيل الكريم، أو يكلمهم ويسمعه الجميع؟ الله أعلم، يُحتمل هذا وهذا، ولا نجزم بشيء من ذلك لأنه غائبٌ عنا.

وهناك كيفية من كيفيات الوحي تندرج تحت المعنى اللغوي؛ ومنها: الوساوس، ونفث السوء، كما قال -تعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ الأنعام: ١١٢، فشياطين الإنس وَحيُهم مُشافهة أو مُكاتبة؛ يُلْقِ السوء مباشرة، ووحي الشيطان الجني إلى الإنس هذا عن طريق الوساوس، ولا يَمنع أن يتمثل جِنيًا لصاحبه من الإنس فيُكلمهُ فيتلقى عنه؛ كما يكون من مُسترِق السمع إلى الكهنة، لا يمتنع هذا.

فيتحصل لدينا من هذا السياق كله: معنى الوحي لغةً وشرعًا:

* **فالوحي لغةً:** هو إعلام بسرعةٍ وخفاء، ومنه: كَلّمْتُهُ؛ إذا أَعلَمتُهُ بما يخفى على غيره.
* **وشرعًا:** هو كلام الله -سبحانه وتعالى- إلى من يَصْطفيه من الملائكة والرسل من الإنس بما يخفى على غيره، ولا يُبيِّنهُ إلا هو، فما يُوحيه الله -على سبيل المثال- إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- يخفى على الناس، ولا يظهر إلا ببيانٍ منه -صلى الله عليه وسلم- أو بيانٍ من القرآن نفسه.

## سؤال:

**أحسن الله إليك، الكيفيات المذكورة في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾** الشورى: ٥١؟

أحسنت، هذه ثلاث كيفيات؛ آية الشورى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ يعني: لا يكلم الله عبدًا من عباده من البشر إلا بأمر ونهي، وهو من يصطفيهم، وبهذا يُعترض على

من قال: أمرني ربي ونهاني في المنام، نقول: يا هذا، لو أنك سألت هذا الذي عرض لك في الرؤيا، فقلت: آلله إنك أنت الله لا إله إلا أنت؟ لَانْخَنَس، فإن الشيطان يعترض للإنسان في اليقظة وفي المنام، فيقول: أنا ربك، لكن لا يستطيع أن يقول: أنا الله، فهذا أخشى أنه من الهوس، وما علمنا أنه حصل لبشرٍ أبدًا حتى الساعة، ما علمنا هذا، فأخشى أن هذا عرض له شيطان، الشيطان لا يتمثل بالله أبدًا، عدو الله لا يستطيع أن يتمثل بالله -عز وجل-، لكن الشيطان يَظهر -مثلا- فيُكلم إنسان فيقول: أنا ربك، كما ظهر لبعضهم نور باهر بين السماء والأرض، فقال: أنا ربك، فقال له: آلله إنك أنت الله لا إله إلا أنت؟ فانخنس، تبدد، صار ظلمة، لا يستطيع يقول: أنا الله، عدو الله لا يستطيع، لكن يقول: أنا ربك، يعني: لي نعمة عليك أو كذا، المعنى اللغوي، لكن المعنى الشرعي لا. هذه الكيفية الأولى.

**الثانية:** ﴿أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ كما كلَّم محمد -صلى الله عليه وسلم-، وقبله كلم آدم، وقبله كلم موسى -على الجميع الصلاة والسلام-.

﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا﴾ هذا هو كل ما أوحاه -سبحانه وتعالى- إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- هو بواسطة جبريل، ما عدا تَكليمَهُ إياهُ ليلة المعراج؛ فإنه كلَّمهُ بلا واسطة.

هذا هو التحقيق في هذه المسألة، فالأُولى هذه تندرج تحت المعاني الشرعية.

## المتن:

**قال -رحمه الله تعالى-:**

**باب:**

٣- حدَّثنا يحيى بنُ بُكَيْر، قالَ حدَّثنا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْل، عَنْ ابْن شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْر، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ -رضِيَ اللَّهُ عنْهَا- أَنَّهَا قالت: أَوَّلُ ما بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عليْهِ وَسَلَّم- مِنَ الْوَحْيِ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوم، فَكَانَ لَا يرى رُؤْيَا إِلَّا جاءتْ مثْلَ فلَق الصُّبْح، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حراءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ؛ وَهُوَ التَّعبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلى أَهْلِهِ ويَتَزَوَّدُ لِذلِكَ، ثُمَّ يَرجِعُ إِلى خَدِيجَةَ فيَتزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحقُّ وهُوَ فِي غَارِ حراءٍ، فجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: «اقْرَأْ، قَالَ: ما أَنَا بِقَارئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فأَخَذَنِي فغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ② ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ③ ﴾ العلق: ١ - ٣»، فَرجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّه -صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدخَلَ علَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ -رضِيَ اللَّهُ عنْهَا- فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟» قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ.

# الشرح:

**أقول:** هذه الترجمة تُنبِّه إلى مقصد من مقاصد البخاري؛ وهو كيف بدأ الوحي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ وهذا يُشير إليه حديث عائشة -رضي الله عنها-، فإنها صرَّحت بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أول ما بُدِئَ به: الرؤيا الصالحة أو الصادقة، فلا يرى رؤيا إلا كانت مثل فلق الصبح كما أخبر عنها، ومن هنا قال أهل العلم: "رؤى الأنبياء حق" فليست رُؤاهم -عليهم الصلاة والسلام- كرُؤى سائر البشر، فإن رُؤى سائر البشر يكون فيها الصالح والفاسد، ويكون فيها ما يُشبه الهذيان والوساوس، أما الأنبياء فمعصومون، ولهذا فإن رُؤاهم حق؛ من الخبر الصحيح الصدق عن الله -عز وجل-.

**هذا الحديث يُفيد فوائد عدة، منها:**

## ✸ الفائدة الأولى:

عظيم لُطف الله بنبيه -صلى الله عليه وسلم-، وعظيم رحمته به، حيث اختار له أن حبب الخلوة إليه وذاك المكان؛ غار حراء.

**لكن هنا سؤال، نحن علمنا أنه كان يتعبَّد لله فيه، ولكن كيف يتعبد؟**

الظاهر أنه الدعاء؛ يدعو، ويذكر الله -عز وجل- بما ألهمه من ذِكرٍ وشكرٍ، لكن: هل صنع ذلك -صلى الله عليه وسلم- بعد ما أوحي إليه، أو صنعهُ أصحابه وعلى رأسهم الأربعة -رضي الله عنهم- ثم سائر العشرة ثم سائر الصحابة ثم الأئمة من بعدهم؟

الجواب: لا، وبهذا يُعلم أنه ليس في تخصيصه بالعبادة المعروفة عندنا نص، لا قول ولا فعل ولا تقرير؛ ليس فيه سنة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وبهذا يُعلم ضلال من يدعُ إلى تعاهدها؛ لتعهُد هذا المكان لتعظيمه، قالوا: ومن تعظيمه أن يُقرأ فيه درس من السيرة؛ فإن هذا يُفضي إلى الغلو، ولربما عُبد ذاك المكان من دون الله -عز وجل- كما حصل قُبيل نوح -صلى الله عليه وسلم-، فإن قومه غَلو في: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا، أَوحَى الشيطان إليهم: أن صوروا صور هؤلاء، وانصبوها في قبلتكم حتى تتأسوا بعبادتهم، وهذا -إن شاء الله- يأتينا -إن طالت بنا وبكم الحياة- في تفسير سورة نوح من كتاب التفسير من هذا الصحيح.

## ✸ الفائدة الثانية:

أول ما نزل من القرآن، هذا الصريح؛ صريح الحديث، وفضل هذه السورة، ويُستفاد منها: الحضُّ على العلم، والعلم إذا أُطلق فهو: العلم الشرعي، وليس كل علم، إذا أُطلق عند أهل الإسلام فهو العلم الشرعي؛ كما سيأتي بسطُ ذلك في كتاب العلم -إن شاء الله تعالى-.

## ✸ الفائدة الثالثة:

وهي: من لطف الله -سبحانه وتعالى- أنه أرسل إليه عبده ورسوله الملكي: جبريل -صلى الله عليه وسلم- في صورة رجل؛ تمثل له في صورة رجل، ولكنه عاملهُ بقوة ليست كقوة البشر.

**هنا سؤال: لماذا كان يقول له: اقرأ؟ ولماذا كان يغُطُّه؛ يعنى: يضمهُ إليه ثم يطلقه؟**

قال أهل العلم: "هذا إرهاص للنبوة" استعداد؛ يعنى: يُهيئه بأمر الله ويُعِدُّه لذلك، وأنه سيُلقي إليه حملٌ لا يتحمله غيره من هذه الأمة، وليس غيرهُ أهلًا له؛ وهي النبوة والرسالة -عليه الصلاة والسلام-، نسأل الله أن يحشرنا وإياكم في زمرته غير خزايا ولا مفتونين.

## ✸ الفائدة الرابعة:

وفاء خديجة -رضي الله عنها- فإن فضائلها جَمَّة، ووفاؤها لزوجها يظهر في عدة أمور تضمنها هذا الحديث:

**الأول:**

أنها هوَّنت عليه ما كان يجده من الخوف الذي قال: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» لفوني في ثيابي، جاءهم وهو يرتجف، فهونت عليه الأمر بكلمات رقيقة لطيفة؛ وهذا فيه أُسوة لكل مؤمنة أن تتأسى بأمها -رضي الله عنها-، فإذا وجدت من زوجها ما يَسُوؤه ويَكْرُبه ويُحزِنه أن تهوِّن عليه بذكر أمور يرتاح لها كما صنعت خديجة -رضي الله عنها- قالت: «كَلَّا، وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا» وعددت محاسنه وخصالًا كريمة كان يتصف بها -صلى الله عليه وسلم- قبل النبوة، ولا يتصف بها إلا كُمَّل الكرم من الرجال.

**ثانيا:**

أنها ذهبت به إلى رجل هو أعْلمُ قومِها؛ وهو ابن عمها: ورقة بن نوفل -رحمه الله-، أنا قلت -رحمه الله- لأني أرجو من خلال هذه القصة أنه مات على خير، فلم نعلم أنه كان يعبد صنمًا ولم نعلم أنه كان يشرب خمرا.

هذا من وفائها، ثم ما اكتفت بالذهاب به، قالت: «يَا ابْنَ عَمِّ» وفي رواية: «أَيْ عَمِّ» لأن الكبير يُقال له: عم، سواءً كان قريبًا أو بعيدًا، وهذا من الخطاب اللطيف الحسن الجميل، «اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ» ومن فوائده أن ورقة بن نوفل -رحمه الله- عنده علم؛ هذا العلم استفاد منه: أنه -صلى الله عليه وسلم- سيُنبأ، قال: «هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى» فموسى -صلى الله عليه وسلم- ذُكِرَ هنا لأن غالب أنبياء بني إسرائيل جاؤوا مُقَرِّرِين لشريعته، وحتى الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى -صلى الله عليه وسلم- فيه -إن لم يكن غالبهُ- من شريعة موسى -صلى الله عليه وسلم-، فيه زيادة على ذلك، ولهذا أخبر ما سيحصل للنبي -صلى الله عليه وسلم- ووعدهُ بنصرته.

وهذا الحديث فيه فوائد أخرى، ومعاني أخرى محلها كتاب التفسير.

**سؤال: قوله: «وَفَتَرَ الْوَحْيُ»؟**

يعنى انقطع، بعد هذا انقطع، تشويق له -صلى الله عليه وسلم-، هذا فيما يظهر، والله أعلم.

## المتن:

**قال -رحمه الله تعالى-:**

**٤- قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢﴾ المدثر: ١-٢، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ المدثر: ٥، فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ» تَابَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَتَابَعَهُ هِلَالُ بْنُ رَدَّادٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَقَالَ يُونُسُ، وَمَعْمَرٌ بَوَادِرُهُ.**

## الشرح:

هذا الحديث يُفيد فوائد عدة، منها:

### ❁ الفائدة الأولى:

من بديع حكمته -سبحانه وتعالى- أن جعل الوحي يفتر على النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ ولعل هذا من التشويق، أو من التخفيف عليه -صلى الله عليه وسلم-، والله أعلم.

## الفائدة الثانية:

أن الله -سبحانه وتعالى- أرى نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- جبريل -صلى الله عليه وسلم- في صورته التي خلقه الله عليها؛ كما جاء في بعض الروايات، وأظن في كتاب التفسير: أنه رآه «وَلَهُ سُتُّمِائَةِ جَنَاحٍ، كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ».

## الفائدة الثالثة:

أن أول سورة أُرسل بها: هي سورة المدثر.

فيتحصل أن الرسالة جاءت من الله إلى محمدٍ -صلى الله عليه وسلم- بواسطة جبريل -صلى الله عليه وسلم- على مرحلتين:

### المرحلة الأولى:

مرحلة التَّنْبِئَة؛ الإعداد: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ هذه في سورة اقرأ.

### والمرحلة الثانية:

الإرسال؛ وهو الأمر بأن يَفعل، وأن يُنذر الأمة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ أي: المُتلفِّف بثيابك، ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ إلى آخر السورة، أَمرهُ ونَهاهُ؛ أمره بالإبلاغ، ونهاهُ عن مُقاربة الأصنام، وما كان -صلى الله عليه وسلم- يُقارِبُها، لكن هذا من التأكيد، أو من بُغضها بُغضًا شديدًا، هو بُغِّضَ إليه -صلى الله عليه وسلم-، بُغضت إليه الأصنام، وشرب الخمر، وعوائد الجاهلية المنافية للمروءة،

بُغضت إليه -صلى الله عليه وسلم-، لكن هنا أُكِدَت: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ الرُّجْزَ: الأصنام، ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ يعني: اصبر للتكاليف الشرعية، فإن الحِمل سيتتابع عليك، وهذا من تعليمه -تعالى- نبيه -صلى الله عليه وسلم- كيف يتلقى الرسالة، لأن الرسالة حِمل ثقيل، ولهذا أثاب الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- بقدر أجر من يهتدي من أمته.

## المتن:

**قال -رحمه الله تعالى-:**

**بابٌ:**

**٥- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَبِي عَائِشَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾** القيامة: ١٦، **قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحَرِّكُهُمَا، وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧﴾** القيامة: ١٦ - ١٧، **قَالَ: جَمْعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ، ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨﴾** القيامة: ١٨، **قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾** القيامة: ١٩، **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا قَرَأَهُ.**

## الشرح:

هذا الحديث يتضمن آيات من سورة القيامة التي يحفظها أبناؤنا وبناتنا في الصفوف الأُوَل من التعليم الابتدائي، ومضمونها: نظيره قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ طه: ١١٤، فيتحصل لنا فوائد:

## الفائدة الأولى:

حرص النبي -صلى الله عليه وسلم- على حفظ القرآن، وأنه لا يفوته منه شيء؛ ولهذا كان يُعالج، يعني: يُعاني؛ يخشى، فكان يُردد مع جبريل، أو يُحرك شفتيه مع جبريل، وتحريك الشفتين دون صوت يدل على أن اللسان يتحرك، وأن الشخص يتكلم، لكن لا يُسمع.

## الفائدة الثانية:

وَعْدُ الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- بأنه يحفظ عليه القرآن، يحفظه في صدره فلا يفوته منه شيء، ويحفظه كذلك حين يُبيّنه للناس، وهذا يُفيد أن من أنواع البيان: بيان القرآن بالقرآن؛ وهذا يأتينا -إن شاء الله- في القواعد الأصولية التي تَعرِضُ لنا أثناء الدروس.

## الفائدة الثالثة:

في تحريك ابن عباس -رضي الله عنهما- لتلميذه سعيد بن الجبير -رحمه الله-؛ فهذا من البيان، وليس من التمثيل من وجهين:

- **أولًا:** أن لعل سعيد بن الجبير لا يعلم من اللغة ما يجعله يفهم هذا، هذا وجه.

- **الوجه الثاني:** التمثيل إن لم يكن كله فغالبه كذب، ولهذا ترون الممثلين كل مرة يظهر في صورة، ويتكلم بصورة غير الصورة الأخرى، فهو كَذِب، وهذا صدق، وهذا له نظائر كثيرة، فلو أن -مثلًا- شخص شهد عند القاضي: أن فلان صفع فلان على وجهه، والقاضي يظهر له أن هذا لا يعرف الصفع، فيقول: بَيِّن لي كيف؟ فيرفع يده يضرب بها، ليس هذا تمثيلًا؛ هذا شيء حقيقي، ويأتينا أمثال هذا -إن شاء الله- في باب التيمم وغيره من كتاب الطهارة.

**بقي أمر:** هذا الحديث، وحديث جابر، وحديث عائشة في قصة إنزال سورة اقرأ، مِن المُرسَل الصحابي، فكيف رواه هؤلاء الصحابة؛ ابن عباس، وجابر، وعائشة -رضي الله عنهم أجمعين-، وهم لم يُشاهدوا هذه القِصص؟ والمُرسَل الصحابي مقبول عند أهل العلم، فإذن لماذا؟ لاحتمال أنهم -رضي الله عنهم- أخبرهم مَن شَهِد هذا، أو تلقَوا الخبر لاحقًا عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذه قاعدة هي التي تجعل أهل العلم يقبلون مُرسل الصحابي على التحقيق؛ لأن الصحابي:

- أولًا: لا يروي إلا عن صحابي، وإن لم يُصرِّح به، وإن كانت القصة قبل ولادته أو قبل إسلامه هو مقبول؛ إذا رواها بعد إسلامه وبلوغه.
- وثانيا: لو روى عن تابعي، فإنه لا يروي إلا عن تابعيٍ ثقة ويتحرَّى في ذلك؛ وهذا نادر، هذه تُسمى: من رواية الأكابر عن الأصاغر، لأن الصحابة أكبر من التابعين، وهي قليلة بالنسبة للصحابة -رضي الله عنهم-.

# المتن:

**قال -رحمه الله تعالى-:**

**بابٌ:**

**٦- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، ح وَحَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ، وَمَعْمَرٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ نَحْوَهُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».**

# الشرح:

## هذا الحديث ما علاقته بهذا الكتاب؛ كتاب الوحي؟

علاقته أن مُدارسة جبريل -صلى الله عليه وسلم- محمدًا -صلى الله عليه وسلم- في رمضان القرآن من الوحي الذي أوحاه الله إلى جبريل، وأمره به أن ينزل به على محمد -صلى الله عليه وسلم-، وما دليل ذلك؟

لعلكم تذكرون آية في سورة مريم: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ مريم: ٦٤، إذن جبريل ما كان ينزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- في ذاك الوقت إلا بأمر الله وهو من الوحي الذي أوحاه الله إليه،

أمر الرسول الملكي أن ينزل على رسولنا -صلى الله عليه وسلم- فيُدارسه القرآن، وفي الحديث فوائد منها:

### ❁ الفائدة الأولى:

شرف رمضان، لأن هذه المُدارسة ما كانت إلا في رمضان.

### ❁ الفائدة الثانية:

العناية بالقرآن، فإن القرآن أُنزل لمقاصد ثلاثة:

- أحدها: التَّعبُد لله بتلاوته، فكلما قرأ المسلم حرفًا كان له حسنة، والحسنة بعشر أمثالها؛ كما صح من حديث عثمان -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، عثمان روى هذا عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.
- الثاني: التدبر، فإن التدبر هو آلة الفهم، فبالتدبر يحصل الفهم، وإذا حصل الفهم حصل العمل على الوجه الصحيح.
- الثالث: العمل به، ولهذا كان الصحابة -رضي الله عنهم- لا يُجاوزون عشر آيات من فم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى يتعلمون معناها والعمل بها.

### ❁ الفائدة الثالثة:

سرعة امتثاله -صلى الله عليه وسلم-، وهذا يظهر في الإنفاق؛ ينفق -صلى الله عليه وسلم- إنفاق من لا يخشى الفقر على الدوام، ولكن أكثر ما يُنفق في رمضان؛ لأن من المُدارسة: الحث على

الإنفاق، وفي هذا أُسوة حسنة لكل مؤمن أن يعمل بكل ما يقف عليه من آي تنزيل الكريم، ومن ذلكم الإنفاق في وجوه البر والخير.

## المتن:

٧- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تُجَارًا بِالشَّامِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ، فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ، قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ، قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا، قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ، قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، وَالصِّلَةِ، فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، قُلْتُ: فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَسَأَلْتُكَ: أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟

فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ؛ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ: أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ، وَسَأَلْتُكَ: بِمَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ، ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ؛ فَإِذَا فِيهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ» وَ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ آل عمران: ٦٤.

## الشرح:

أقول: هذا الحديث شرحهُ يطول؛ لأن كل جملة تحتها المعاني الكثيرة، ولكن نقتصر على بعضها، وإن طالت بنا وبكم الحياة ستستمعون إلى أوسع في كتاب التفسير من هذا الصحيح، وفي سورة آل عمران خاصة.

## من فوائد هذا الحديث:

### ❖ الفائدة الأولى:

أن أهل الجاهلية يستعيبون الكذب ويمقتونه؛ ولهذا قال أبو سفيان بعد ما حدَّث هذا الحديث: «وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ» يعنى قوله: «وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا».

### ❖ الفائدة الثانية:

اتفاق شرائع الأنبياء على الأصول من الدِّين؛ أصول الدِّين، وهذا مُتقرر عند أهل الكتاب؛ ولهذا قال هرقل ما قال، لما أخذ يُفنِّدُ أسئلته لأبي سفيان وجوابه عنها قال: «فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ» إلى آخر ما قال.

### ❖ الفائدة الثالثة:

عموم دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ عموم رسالته، وأنها ليست خاصة بأهل الجزيرة من قريش ومن دان دينها، وهذا يظهر من صنيعه -صلى الله عليه وسلم-: بعث الرسائل إلى ملوك وعُظماء الأقطار، وقد سمعتم نص رسالته -صلى الله عليه وسلم- إلى هرقل عظيم الروم.

هذا ما أردنا التنبيه إليه من شرح هذا الحديث العظيم، وبهذا ينتهي على ما أظن كتاب الوحي، الحديث الأخير.

## المتن:

**قال -رحمه الله تعالى-:**

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ، وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ، كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ، وَارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ، وَأُخْرِجْنَا، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ؛ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ، وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّامِ(-هم بالعُرف الحديث يقول: أُسقف)- يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ: قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ، قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ هَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ، فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ، أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا؟ فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ، فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ، ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ، فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ، وَأَيِسَ مِنْ الْإِيمَانِ، قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ، فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ. رَوَاهُ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ، وَيُونُسُ، وَمَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ.

## الشرح:

هذا السياق الأخير فيه فوائد، منها:

⌘ **الفائدة الأولى:**

قَبول ما تَحمَّلَه الرجل وقت كُفره بعد إسلامه، وإيضاح ذلكم: أن أبا سفيان -رضي الله عنه- تحمَّل هذه القصة وعَقَلها يوم كان مشركًا، فقبلها المسلمون منه بعد إسلامه، لما حدَّث بها بعد إسلامه قبلوها منه؛ هذه قاعدة عند أهل العلم، فمن تحمل شيئًا من الخبر في كفره، فإنه لا يُقبل منه إلا بعد إسلامه، فلا تُقبل رواية الكافر في الأمور الشرعية.

⌘ **الفائدة الثانية:**

أن أبا سفيان أَحسَّ بظهور أمر النبي -صلى الله عليه وسلم-، وجعل هذا في نفسه لما سمع من هرقل ما سمع، ورأى ما رأى، أيقن أنه سيظهر -صلى الله عليه وسلم-، وأنه سيغلب؛ لأنه رسول الله، جاء بدين الحق من عند الله، فأدخل الله بعد ذلك الإسلام على أبا سفيان -رضي الله عنه- فأسلم وحسن إسلامه.

⌘ **الفائدة الثالثة:**

أن هرقل ضلَّ عن علم، فهو يعلم ظهور محمدٍ -صلى الله عليه وسلم-، ورغب في ذلك؛ لأنه قال: «فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ»، وقال: «فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ»، أقول: هرقل أضلَّه الله على علم، هرقل ضلَّ على علم، كيف ذلك؟

أولًا: أنه علم ظهور محمد -صلى الله عليه وسلم-، وعلم أنه سيُبعث؛ لأنه كتابي، وهذا مُتقرر، ولهذا سمعتم منه عبارات: «فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا» إلى آخره «فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ» لكن حب الرئاسة أعماه، وهذا قدر الله، فهرقل عالم شرعًا، مؤهل شرعًا، وكذلك قادرٌ حِسًّا، لكن لأنه ليس أهلًا خذله الله -عز وجل-، غلبَت عليه الإرادة الكونية القدرية: أنه لا يؤمن؛ لأن هذا سبق في علم الله أنه لن يؤمن.

وبهذا انتهى كتاب الوحي.

سؤال: إيش علاقة الحديث، أحسن الله إليك؟

علاقة الحديث بهذا الباب؟ لعلها الآية؛ فآية آل عمران فيها: أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يدعوَ أهل الكتاب.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

miraath.net

وجزاكم الله خيرا.